تفسير إبن كثير

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ

لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد ، وقتل من قتل منهم ، نادى الشيطان : ألا إن محمدا قد قتل . ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم : قتلت محمدا . وإنما كان قد ضرب رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فشجه في رأسه ، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول االله قد قتل ، وجوزوا عليه ذلك ، كما قد قص االله عن كثير من الأنبياء ، عليهم السلام ، فحصل وهن وضعف وتأخر عن القتال ففي ذلك أنزل االله [عز وجل] على رسوله صلى االله عليه وسلم : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) أي : له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه .قال ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه ، فقال له : يا فلان أشعرت أن محمدا صلى االله عليه وسلم قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد [صلى االله عليه وسلم] قد قتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم ، فنزل : (وما محمد إلا

رسول قد خلت من قبله الرسل) رواه [الحافظ أبو بكر] البيهقي في دلائل النبوة .ثم قال تعالى منكرا على من حصل له ضعف : (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) أي : رجعتم القهقرى (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر االله شيئا وسيجزي االله الشاكرين) أي الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه ، واتبعوا رسوله حيا وميتا .وكذلك ثبت في الصحاح والمساند والسنن وغيرها من كتب الإسلام من طرق متعددة تفيد القطع ، وقد ذكرت ذلك في مسندي الشيخين أبي بكر وعمر ، رضي االله عنهما ، أن الصديق - رضي االله عنه - تلا هذه الآية لما مات رسول االله صلى االله عليه وسلم .وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل عن ابن شهاب ، أخبرني أبو سلمة ، أن عائشة ، رضي االله عنها ، أخبرته أن أبا بكر ، رضي االله عنه ، أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول االله صلى االله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه [صلى االله عليه وسلم] ثم أكب عليه وقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي . واالله لا يجمع االله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها .وقال الزهري : وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس ، أن

أبا بكر خرج وعمر يحدث الناس فقال : اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعد ، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد االله فإن االله حي لا يموت ، قال االله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) إلى قوله : (وسيجزي االله الشاكرين) قال : فواالله لكأن الناس لم يعلموا أن االله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها الناس منه كلهم ، فما سمعها بشر من الناس إلا تلاها .وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال : واالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض .وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول االله : (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) واالله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا االله ، واالله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت ، واالله إني لأخوه ، ووليه ، وابن عمه ، ووارثه فمن أحق به مني ؟ .